العرب
الإثنين 2020/08/17
السنة 43 العدد 11792

صناديق دعم الصحافة خطوة على طريق إنقاذ القطاع المتأزم

مبادرات الحكومات العربية لدعم المؤسسات الصحافية متواضعة وقصيرة المدى

أطلقت منظمات وهيئات دولية صناديق لدعم الصحافة في أنحاء متفرقة من العالم، لكنها تبقى فردية ومعنية بالصحافيين أكثر من المؤسسات، فيما الخطوة التي قامت بها الحكومات العربية في هذا المجال تحتاج إلى دعم أكبر وخطط طويلة الأمد.

واشنطن – ظهرت مبادرات ومشاريع دولية يمكن تعليق الآمال عليها لاستمرارية مؤسسات إعلامية تضررت بشدة جراء تفشي جائحة كوفيد – 19، تتمثّل بتأسيس صناديق الإغاثة والطوارئ للصحافيين في مختلف أنحاء العالم.

وتلقّت وسائل الإعلام الإخبارية حول العالم ضربة قوية، إذ تراجعت عائدات الإعلانات، ما فاقم الأزمة التي كانت تواجهها بالأصل هذه المؤسسات، وأجبرت العديد من هذه المؤسسات لاتخاذ إجراءات منها وقف التوظيف وتخفيض الإنتاجية حتّى أنّ بعضها اضطرت إلى الإغلاق، وبالنتيجة تراجعت الفرص المتاحة للصحافيين، وتضاءلت الخيارات أمامهم للعمل.

وقدمت منظمات وهيئات دولية معنية بالصحافة مثل المركز الأوروبي للصحافة، صندوق الصحافة الاستقصائية، وصندوق التصوير للنساء، مبادرات ومشاريع لتمويل الصحافيين عبر صناديق إغاثة وطوارئ.

كما أطلق المركز الدولي للصحافيين الذي وبدعم من مشروع فيسبوك للصحافة صناديق إغاثة في أربع مناطق رئيسية في العالم، وفق ما ذكر ديفيد ماس مدير شبكة الصحافيين الدوليين في تقرير نشر على موقع الشبكة.

وفي أواخر مارس الماضي، أطلقت "ناشيونال جيوغرافيك" صندوق طوارئ خاصًا لدعم الصحافيين في إعداد تقارير حول كوفيد – 19 في جميع أنحاء العالم. وحتى الآن، دعم الصندوق العالمي أكثر من 100 مشروع لسرد القصص في أكثر من 50 دولة. كذلك قدّم دعمًا للصحافيين من أجل العمل على التقصي وجمع معلومات مهمة وتقديمها إلى الفئات المهمشة.

وتحدثت كيتلين يارنال وهي المسؤولة عن السرد القصصي في "ناشيونال جيوغرافيك" عن المبادرة، وقالت إن "المشاريع التي حظيت بدعم، سلطت الضوء على بعض القضايا الرئيسية التي يهتمّ بها الناس".

وأوضحت أنّ هناك الكثير من العناصر المتشابهة في القصص، على الرغم من اختلاف الأشخاص، مثل قضية التشرد سواء كان المشردون عمالاً مهاجرين في الهند أو أولئك الذين يعيشون في إحدى مناطق كاليفورنيا، كذلك كان التعليم وانعدام الأمن الغذائي وندرة المياه من القضايا الرئيسية في المشاريع التي جرى إعدادها.

وفي العالم العربي اتخذت بعض الحكومات إنشاء صناديق لإنقاذ المؤسسات الصحافية التي تعاني أزمة حادة، بسبب تداعيات جائحة كورونا وتراجع مبيعاتها وعائداتها من الإعلانات، ففي تونس أعلنت الحكومة إنشاء صندوق أموال لدى رئاسة الحكومة بقيمة 5 ملايين دينار (1.8 مليون دولار) لدعم المجهود الاتصالي للدولة في الحملات التوعوية والتثقيفية.

وأعلنت الحكومة أيضا تكفل الدولة بنسبة 50 في المئة من رسوم البث عام 2020 لكل القنوات الإذاعية والتلفزيونية الخاصة، كما قررت المساهمة في الاشتراكات الرقمية للنسخ الإلكترونية من الصحف المطبوعة من قبل الدولة والمؤسسات العمومية وفق ميزانية تقدر بـ1.2 مليون دينار (حوالي نصف مليون دولار)، ويقتطع ذلك من الاعتمادات المرصودة في الميزانية بعنوان الاشتراكات في الصحف الورقية لسنة 2020.

> «ناشيونال جيوغرافيك» أطلقت صندوق طوارئ عالميا لدعم أكثر من 100 مشروع صحافي في أكثر من 50 دولة

وفي المغرب كشف وزير الثقافة والشباب والرياضة، عثمان الفردوس، عن تخصيص دعم مباشر للصحافيين والموظفين في المؤسسات الصحافية، قيمته 75 مليون درهم (نحو 7.5 مليون دولار)، موزعة على ثلاثة أشهر، اعتباراً من يوليو الماضي.

وقال الفردوس، "اشتغلنا بطريقة مكثفة مع وزارة الاقتصاد والمالية على مخطط استعجالي لإنقاذ قطاع الصحافة المكتوبة"، كاشفاً عن تخصيص 75 مليون درهم (7.5 مليون دولار) لتمكين وزارة الاقتصاد والمالية من دفع كتلة الأجور في هذه الشركات الصحافية.

وتدرس حكومات عربية أخرى مثل الأردن وموريتانيا إنشاء صناديق مماثلة بعد مطالبات ومناشدات من قبل الصحافيين والمؤسسات الإعلامية، لحل أزماتها المتراكمة.

ويقول متابعون إن هذه الصناديق خطوة جيدة بالتأكيد لكن الطريق ما زالت طويلة وتحتاج إجراءات أكثر نجاعة لإنقاذ قطاع الصحافة من أزمته الكبيرة. وأضافوا أن المبادرات الدولية تهدف بشكل عام لمساعدة الصحافيين في مشاريعهم، بينما المؤسسات الصحافية بحاجة إلى دعم كبير، وفي العالم العربي تحتاج الصحافة بشكل خاص لدعم الحكومات بعدة مبادرات خصوصا في ظل أزمة كورونا الحالية التي فاقمت التحديات في قطاع يعاني أصلا.

الصحف العربية بحاجة إلى حلول جذرية

وروت الكاتبة صوفي كوزينز التي استفادت من دعم صندوق "ناشيونال جيوغرافيك" والتي غطّت آثار كوفيد – 19 على مجتمعات السكان الأصليين في أستراليا، تجربتها قائلةً "بعد التجربة التي واجهها السكان الأصليون خلال انتشار وباء إنفلونزا الخنازير عام 2009، ووفاة أعداد كبيرة منهم، أردت توثيق التجربة الجديد مع كورونا".

وأضافت "في البداية كان هناك الكثير من التحديات حول تنظيم التنقل داخل أستراليا، حيث أغلقت معظم الولايات والأقاليم حدودها وتعيّن عليّ أن أختار مجتمعًا آخر من السكان الأصليين لأركز عملي عليه، بدلاً من زيارة المجتمع الذي خططت له والذي يتطلب عبور حدود الدولة".

وقد تمّ نشر عمل الصحافية في مجلة "لندن ريفيو أوف بوكس" وفورين بوليسي و "أس.بي.أس.نيوز".

وأضافت كوزينز "أردت التأكد من أن تقاريري لا تركز فقط على كورونا فحسب ولكنني طرحت أسئلة أشمل مثل: لماذا يكون السكان الأصليون الأستراليون عرضة للإصابة بهذا الفايروس؟".

إعلامي لبناني يحتج بالاستقالة خلال نشرة أخبار

بغداد – أعلن وسيم عرابي، مذيع الأخبار على شاشة "تلفزيون لبنان"، استقالته من العمل على منبر التلفزيون الرسمي في ختام نشرة الأخبار المسائية، ووجه انتقادات شديدة، إلى الطبقة السياسية، معتبرا أنها حولت الوطن إلى مقبرة للأحلام.

وقال عرابي "اليوم انتهى مشواري هنا ليس لأن المؤسسة استغنت عني لا، لكن لأني لم أعد أستطيع البقاء بأرض هي مقبرة للأحلام، سأغادر لأني قرفت منكم، أو بالأحرى لأني لم أجد وطناً، أنتم صنعتموه على قياسكم، على أمل أن يعود الوطن كي نعود ونعيش فيه بكرامة وليس بذل ولا نعود إليه رفاتا لندفن به".

وأضاف "في ختام هذه النشرة وكما تقول فيروز بالآخر في آخر، وهذه كانت آخر نشرة أطل فيها عليكم بعد 11 سنة كنت أطل فيها في هذه المحطة الوطنية".

وأوضح "11 سنة كنت أغطي فيها أحداثا للأسف أغلبها حزين، كلها انطبعت بذاكرتي مثل الكثير؛ انفجارات اغتيالات اعتداءات على الحدود جنوبا وبقاعا وحروب داخلية وكل ما هو بين هذه المحطات".

وتجتاح لبنان موجة غضب شعبية واسعة إثر تفجير مرفأ بيروت في الرابع من أغسطس الجاري ، الذي راح ضحيته الآلاف بين قتيل وجريح، ويحمّل اللبنانيون الأحزاب السياسية وميليشيات حزب الله مسؤولية هذا الانفجار بسبب الفساد المستشري في البلاد ونظام المحاصصة السياسية، الذي سمح للسياسيين بالبقاء في السلطة رغم الاحتجاجات المتصاعدة منذ أكتوبر 2019.

وعبر الكثير من الناشطين والإعلاميين والمشاهير اللبنانيين في منشورات على مواقع التواصل الاجتماعي عن اتخاذهم القرار بمغادرة لبنان بسبب ما آلت إليه الأوضاع وعدم قدرة السلطات على حمايتهم وحماية أبنائهم في ظل منظومة فاسدة تسببت في كارثة مثل انفجار المرفأ.

واختتم عرابي ظهوره على تلفزيون لبنان بالقول "أنا قال (راحل) لأني قرفت منكم أو بالأحرى لأني لم أجد وطنا، أنتم صنعتموه على قياسكم، في الختام أشكر من كل قلبي كل شخص دعمني أو لم يدعمني لأن الاثنين يجعلاني أقوى"، ثم أنهى كلامه قائلا "على أمل كل اللي راحوا يرجع إلنا وطن كي نعود نعيش فيه بكرامة وليس بذل ولا نعود إليه رفاتا فقط لندفن به".

إعادة نشر مطبوعة نوعية تنعش ذاكرة مصادرات الصحافة

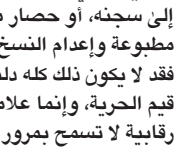

سعد القرش
روائي مصري

إذا مرت سنة، سنتان، عشر سنوات أو أكثر في بلد ما، ولم يشهد منع مقال لكاتب، أو ملاحقة صحافي بتحقيق إداري ينتهي بفصله أو قضائي يؤدي إلى سجنه، أو حصار مطبعة ومصادرة مطبوعة وإعدام النسخ قبل توزيعها، فقد لا يكون ذلك كله دليلا على رسوخ قيم الحرية، وإنما علامة على "تعاليم" رقابية لا تسمح بمرور خطأ، وإذا وقع خطأ فيحظر نشره والإشارة إلى عقاب/ "مصادرة" صاحبه.

ويستمر الأداء الصحافي الحكومي والأهلي في مجرى واحد تحدده سلطة عليا، فلم يُعهد على سمك ميت أن خالف اتجاه التيار، وليس في مدن الموتى صوت مختلف عن صفير الريح وحفيف الشجر. وكانت مطبوعة "شمروخ الأراجوز" حالة الحياة، وشغبا جميلا شغل تسعين عددا في 13 عاما، قبل التوقف عام 2015.

"شمروخ الأراجوز" ابن شرعي للشاعر المصري سمير عبدالباقي. وإذا كان "الشمروخ" في اللغة هو الغصن الدقيق، فإن العامية المصرية منحته دلالة خشنة، وأطلقته على العصا الغليظة. وكان عبدالباقي قد أسس في بداية سبعينات القرن العشرين الفرقة المركزية لمسرح العرائس، وكتب وأخرج لها عددا من العروض.

وكان عبدالرحمن أبوزهرة هو الممثل الوحيد في عرض «حسن قرن الفول» الذي يقوم بطله الأراجوز بضرب الغافلين بعصاه الصغيرة. ثم رأى الشاعر أن عصا الأراجوز لا تكفي، وأن تنبيه هؤلاء يحتاج إلى "شمروخ" لمقاومة "الوالي والمملوك التركي والخفير واللص والفاسد". هكذا ولد "شمروخ الأراجوز"، وكبر وسط في القهاوي والبارات وعلى الأرصفة. وكنا نحبه، ونراه الابن المشاغب في العائلة، طفلا ذكيا خفيف الظل، يتعب فيميل إلى حجْر أي منا وينام.

على نفقته أعاد سمير عبدالباقي طبع أعداد "شمروخ الأراجوز"، فحفظها في مجلد بلغ 807 صفحات، وأنقذها من مصائر بائسة لمطبوعات صدرت ثم اختفت، وليس لها وجود في الأرشيفات أو دور الوثائق.

في عام 1996 نشر الشاعر هشام قشطة الأعداد الكاملة لمجلة "التطور" التي أصدرتها جماعة الفن والحرية في مصر، وصدر منها سبعة أعداد من يناير إلى سبتمبر 1940، مع التنبيه إلى أن "العدد السادس مفقود". وبمناسبة إقامة معرض "حين يصبح الفن حرية: السرياليون المصريون 1938 ـ 1965" في قصر الفنون بدار الأوبرا بالقاهرة، أعاد طباعة المجلة بدون العدد المفقود.

وفي كتابه "صحف مصادرة في مصر حتى 1952" يسجل الباحث المصري هشام عبدالعزيز أسبابا متنوعة وغريبة لمصادرة الصحف والصحافيين منذ بدايات الصحافة في نهايات القرن التاسع عشر. في يوليو 1920 نفى الشاعر بيرم التونسي، وفي 19 سبتمبر 1921 نفى علي فهمي كامل وكيل الحزب الوطني وعطلت صحيفة "اللواء" ستة أشهر، بسبب نشرها تلغرافا بعثه كامل إلى الخديوي المعزول عباس حلمي الثاني، "تهنئة بالعام الهجري الجديد دون أن يرسل للسلطان فؤاد (الملك في ما بعد) تلغرافا مشابها". وكان أمين الرافعي قد أصدر صحيفة "الشعب" عام 1913، وفي 27 نوفمبر 1914 أعلن توقفها اختياريا؛ لكي لا يضطر إلى نشر خبر إعلان الحماية البريطانية على مصر، وكان متوقعا صدوره. وصدر القرار في 18 ديسمبر 1914، وألزمت سلطات الاحتلال الصحف كلها بنشره، وفي اليوم التالي أعلنت بريطانيا خلع الخديوي عباس حلمي، وتنصيب عمه حسين كامل سلطانا على مصر.

ربما رأى سمير عبد الباقي أن تتوقف "شمروخ الأراجوز" اختياريا؛ بعد تغيّر المزاج العام، والاعتداء على مساحة محدودة للحريات كنا نحلم بتوسيعها، فإذا بها تضيق، وسط اكتئاب عمومي لا يحتمل الشغب الذي ينتمي إلى صناعة صحافية أسهم رواد شعر العامية في إرسائها. في عام 1899 أصدر محمد توفيق الأزهري ومحمد حلمي عزيز صحيفة أسبوعية هزلية ساخرة عنوانها "حمارة منيتي"، كانت تطبع أسبوعيا عشرة آلاف نسخة. ويرجح هشام عبدالعزيز أن توقفها عام 1904 يرجع إلى "أسلوبها السافر النقدي"، ويبدأ بشعارها الدال على أنها "جريدة هزلية أدبية مهلبية شلبية بنت كلبية جربندية أسبوعية". وأدت السخرية إلى حبس رئيس تحريرها محمد أفندي توفيق، الذي كان ضابطا في الجيش المصري.

ونشط بيرم التونسي في إصدار الصحف منذ عام 1915، وفي عام 1919 أصدر "المسلة"، وفي تعريف لها أنها "لا جريدة ولا مجلة"، للتحايل على قانون يجيز سحب ترخيص الصحف والمجلات ومصادرتها.

ولكن "المسلة" صودرت في سنة صدورها. أما الشاعر والكاتب المسرحي والسيناريست بديع خيري، صاحب المشاريع الفنية مع سيد درويش ونجيب الريحاني، فكانت صحفه تجد تضييقا من القصر والإنجليز، إذ صودرت صحيفة "الاستقلال" بعد ثمانية أعداد، أما "ألف صنف" فتعرضت للمصادرة أكثر من مرة، وفي العدد 161 الصادر في 19 أغسطس 1930 أعلن عن إصدار صحيفة جديدة عنوانها "النهارده" يومية سياسية، بعد تعرض "ألف صنف" للتعطيل في عهد حكومة محمد محمود "دكتاتور البرك والمستنقعات.. لتعود إلى الظهور على عهد دكتاتور الاقتصاد والنظام (إسماعيل صدقي)".

> مطبوعة «شمروخ الأراجوز» حالة الحياة، وشغب جميل شغل تسعين عددا في 13 عاما، قبل التوقف عام 2015

إلى تلك الأرواح الساخرة والحس الجمالي الانتقادي ينتمي "شمروخ الأراجوز". وفكرة المطبوعة ـ كما قال عبدالباقي في حوار أجراه سامح قاسم ونشره في مقدمة المجلد على سبيل التقديم ـ جاءت مصادفة، بعد ارتكاب رئيس الوزراء الإسرائيلي إرييل شارون لمذبحة جنين عام 2002، فكتب قصيدة "رسالة إلى شارون"، وصدّر بها العدد الأول المكتوب كله بخط اليد، وجاء في ثماني صفحات وثمن النسخة عشرة قروش كحد أدنى، وبداية من العدد الثاني أضيف النثر إلى الشعر، وحروف الآلة الكاتبة إلى خط اليد، وصار سعر النسخة ربع جنيه ومضاعفاته، مع الإشارة إلى أن حقوق الملكية الفكرية غير محفوظة، ويسمح بالنقل والنقد والتصوير.

"شمروخ الأراجوز" حالة عصية على التصنيف الصحافي، ليس مجلة، لأنه بلا غلاف، فالغلاف جزء من متن المجلة التي ليست مجلة، وتنتمي طباعتها إلى مجلات الماستر السائدة في سبعينات القرن العشرين. الشمروخ كما يعرّف نفسه "شكشكة شعرية غير دورية بالفصحى العامية"، شعارها "لا يحق لنا ما لا يحق لأهلنا"، وهي "نشرة شعرية مصرية على قد الحال. لا جريدة ولا جرنال ولا حتى مجلة. ومستقلة عن أي حزب وملة. عايشة بنفسكم مش بس بفلوسكم. والغاوي ينقط بطاقيته. وأهلا وسهلا بالأصدقاء زجالين وفنانين وشعراء". ولأن عبدالباقي يعرف أن كثيرا من المثقفين لا يشترون كتبا، فكان يوزعها مجانا، ويرسل المئات من النسخ إلى الأصدقاء. ويرى اختلافها عن صحف عبدالله النديم صوت الثورة العرابية وبيرم التونسي وبديع خيري في تغيّر الظرف التاريخي، ففي الماضي كانت الأمور واضحة، العدو هو الاستعمار والاستبداد وفساد الأسرة المالكة، وكانت الصحف تنشر القصائد في صفحاتها الأولى.

أما الآن فقد "أصبحنا كشعراء مزنوقين في حارة اسمها حارة الشعراء فيها يسمعون ويكتبون لبعضهم".

تجاوزت "شمروخ الأراجوز" الطابع الرسالي للزجل، وأضاف عبدالباقي ـ الذي يستند إلى رصيد هائل من الشعر والأغاني والمسرح والروايات ـ قصائد تمزج الفصحى بالعامية.

وبمضي الوقت، زاد عدد الصفحات إلى 12، وأضاف أبوابا منها "المضيفة" لنشر قصائد لشعراء معاصرين، أو مقولة لبيرم التونسي: "لولا النقد لهلك الناس، ولطغى الباطل على الحق، ولامتطى الأراذل ظهور الأفاضل، وبقدر ما يخفت صوت الناقد يرتفع صوت الدجال"، أو رباعية ابن عروس:

مسكين من يطبخ الفاس/ ويريد مرق من حديده
مسكين من يصحب الناس/ ويريد من لا يريده.

في مايو 2006، قابلني سمير عبدالباقي، في ميدان طلعت حرب، وسألني: وصلك العدد الجديد من الشمروخ؟

كان العدد الثالث والأربعون تتصدره قصيدة «دعاء المغلوبين» عن حسني مبارك، فلم يصل، واحتفظ الشاعر بعدد من النسخ وأعطاني إحداها.

ومع صعود الإخوان المسلمين، عني الشمروخ بالدعوة إلى التخلي الاستعلاء الديني، والبعد عن الطائفية: "الدين لرب الفلق/ أما الوطن للكل".

حفل العدد الأخير، مارس 2015 بالكثير من الشجن، كأنه الوداع. ومما قاله عبدالباقي:

فخور بأني شيوعي رغم تكفيركم
كفاني عشق لمحمد شرّ تفاسيركم
هذا اليتيم الفقير الصادق المرحمة
وصاحب الملحمة اللي خانها أكابركم
جسّوا الإيمان في العدالة.. تصحى ضمايركم.